المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد:02 (2022)، ص286-303

جوانب من تأثيرات وإسهامات العناصر الوافدة على المجتمع السعدي خلال فترة أحمد المنصور الذهبي (1578-1603م)

Aspects of the influences and contributions of expatriate elements on Saadi society during the period Ahmad Al-Mansur al-dhahabi (1578-1603)

حسين نمير*
مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة
جامعة بسكرة (الجزائر)
hocine.nemir@univ-biskra.dz

لخميسي فريح
جامعة بسكرة (الجزائر)
lekhmissi.fraih@univ-biskra.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/04/07
تاريخ القبول:
2022/12/03

الكلمات المفتاحية:
- ✓ أحمد المنصور
- ✓ العناصر الوافدة
- ✓ تأثيرات
- ✓ الإسهامات

الملخص:

ترصد هذه الدراسة جوانب من إسهامات وتأثيرات العناصر الوافدة على الدولة السعدية، وفي مقدمتهم الأندلسيون واليهود، بالإضافة إلى العنصر الأوروبي والسوداني، في فترة حكم السلطان أحمد المنصور الذهبي (1578-1603)م. الذي تميز عصره على خلاف باقي سلاطين الدولة السعدية بالتطور في شتى المجالات، وهذا بفضل ما توفر له من أمن واستقرار نسبيين في البلاد، نتيجة جهوده في القضاء على الثورات والتمردات، وكذلك بفضل سياسته الرامية إلى استغلال خبرات العناصر الوافدة على المجتمع السعدي، والتي ساهمت في تغذية البلاد بأساليب تقنية، وأنشطة جديدة في مختلف مجالات الحياة. وذلك من خلال نقل مختلف الخبرات والمعارف والعادات التي اكتسبوها من موطنهم، وقاموا بنقلها إلى المغرب، كمحاولة منه لإخراج المغرب من محنته وبعث الانتعاش في الحياة الاقتصادية وكذا الاجتماعية في البلاد. حيث تعتبر هذه الدراسة محاولة منا للوقوف على تلك الجهود والأدوار التي اضطلعت بها هذه العناصر الوافدة في سبيل النهوض بالمجتمع السعدي.

Article info

Received:
07/04/2022
Accepted:
03/12/2022

Key words:
- ✓ Ahmed Al-Mansour
- ✓ Incoming items
- ✓ Effect
- ✓ Notable contributions

Abstract:

This study examines aspects of the contributions and influences of the expatriate elements on the Saadian state, especially the Andalusians and Jews, in addition to the European and Sudanese element, during the reign of Sultan Ahmed al-Mansur al-dhahabi (1578-1603 ad). This is thanks to the relative security and stability provided to him in the country, as a result of his efforts to eliminate revolutions and rebellions, as well as thanks to his policy aimed at exploiting the experiences of elements coming to the Saadi community, which contributed to feeding the country with technical methods and new activities in various fields of life. This is through the transfer of various experiences, knowledge and habits that they acquired from their homeland, and transferred them to Morocco, as an attempt to get Morocco out of its plight and revive the economic and social life in the country. This study is an attempt by us to identify the efforts and roles played by these expatriate elements in order to advance the Saadi community.

*المؤلف المرسل

مقدمة

شهد العالم مع مطلع القرن السادس عشر تحولات جديدة في شتى المجالات وبالأخص في العلاقات السياسية ما بين الشرق والغرب، بحيث اتحدت الجزائر مع الدولة العثمانية، وقامت بدور فعال في حوض البحر المتوسط، تمثل في عمليات الجهاد البحري ضد خطر الغزو المسيحي الإسباني، وفي مقابل ذلك شهد المغرب الأقصى ضعف السلطة المركزية (الوطاسيون) التي أصبحت عاجزة عن توحيد البلاد، والوقوف في وجه الخطر البرتغالي الذي استفحل أمره.

وهي الأوضاع التي لم تمنع من ظهور حركة الجهاد ضد الغزاة، بفضل جهود الزوايا، إلى أن تهيأت الظروف بجنوب المغرب الأقصى لقيام دولة الأشراف السعديين كقيادة جديدة للبلاد، بقيادة القائم بأمر الله، الذي اتخذ من مدينة فاس عاصمة لحكمه، وتمكن الأشراف السعديون من تنظيم المقاومة ضد البرتغاليين، وعملوا على تخليص ثغور المغرب الأقصى، واستعادة وحدة البلاد والوقوف أمام الأطماع الأجنبية، والمحافظة على استقلال الإقليم المغربي.

غير أن أزهى عصور الدولة السعدية كانت خلال فترة حكم أحمد المنصور الذهبي ما بين (1578-1603م)، إذ شهد المغرب الأقصى جملة من التطورات، كان أبرزها الانتصار الكبير الذي حققه ضد البرتغال في معركة وادي المخازن عام 1578م. وهي المعركة التي مثلت منعرجا حاسما في تاريخ المغرب، وقد استغله أحمد المنصور في كسب علاقات خارجية متينة من جهة، ومن جهة أخرى تمكن بعدها من تنظيم دولته، وتقوية نفوذه ليشمل جميع مناطق المغرب الأقصى، وساعدته أيضا على توطيد أركان حكمه وتنظيم جيشه، وإخماد الثورات الداخلية ضده حكمه وبذلك استطاع تحقق الاستقرار الاجتماعي، الذي جعل المغرب الأقصى ينفتح على جميع التيارات الحضارية، التي أدت إلى انتعاش كبير للحياة الاقتصادية والاجتماعية. وأدت أيضا إلى توفير بيئة ملائمة للعناصر الوافدة التي زاد عددها، وكان لها الأثر والتأثر بالمجتمع السعدي.

وهو الإشكال الذي تسعى لمعالجته هذه الدراسة من خلال طرح التساؤل الآتي: **فيم تظهر ملامح تأثير العناصر الوافدة على المجتمع السعدي زمن أحمد المنصور الذهبي؟ وهل أحدث ذلك التأثير فارقا في تطور وانتعاش المجتمع السعدي؟**

1.الأندلسيون

يُعد العنصر الأندلسي من أهم العناصر الوافدة على المغرب، ومن أكثر العناصر التي ساهمت وأثرت في المجتمع السعدي، إذ يعود أقدم توافد للعنصر الأندلسي في المغرب الأقصى، إلى عهد الحكم الربضي[1]، وكان ذلك في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجريين، نتيجة لوقعة الربض المشهورة[2] حيث أمر بطردهم من الأندلس[3]. ولكن توافد العنصر الأندلسي على بلاد المغرب بصفة عامة والمغرب الأقصى بصفة خاصة، ظهر بشكل كبير بسقوط غرناطة سنة 1492م، آخر معاقل المسلمين في الأندلس، إذ توالت الهجرات

عبر فترات متفاوتة، بداية من أوائل القرن السادس عشر الميلادي[4]. أما مناطق استقرارهم فقد تنوعت تنوعا كبيرا، إذ لم يقتصر على منطقة معينة بل شملت مناطق عديدة من المغرب الأقصى مثل: الرباط، وسلا، وفاس مكناس، ومراكش، وتطوان، وشفشاون، وآسفى...الخ، وقد أسهمت هذه الشريحة في بناء المجتمع السعدي[5].

والجدير بالذكر أن العنصر الأندلسي يعتبر أكثر العناصر تأثيرا من بين العناصر الخارجية الأخرى الوافدة على المجتمع السعدي، وذلك لعدة اعتبارات أبرزها عاملي الدين الواحد والجوار، يضاف إليهما ذلك تبادل التأثير السياسي والحضاري ما بين المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي[6]. فقد حمل الأندلسيون معهم إلى المغرب الكثير من ألوان الثقافة الجديدة والنادرة، كعلم القراءات، والطب، والموسيقى[7]، مثل: إدخال الموسيقى الأندلسية إلى جانب الزجل[8] والموشحات[9] الأندلسية[10]، بالإضافة إلى بروزهم في مجال الترجمة، مثل ترجمة المعاهدات والمراسلات الرسمية. علاوة على ترجمة الكتب الدينية الإنجيل والتوراة، وذلك بهدف اطلاع المسلمين على زيف ادعاءات المسيحيين كما عملوا على نقل المعارف من الاسبانية إلى العربية ككتب الطب، والصيدلة والفلك، والفنون الحربية[11]. وبذلك أثروا المكتبات المغربية بمختلف مؤلفاتهم، وأسسوا مكتبة بالرباط[12]. كما أسهموا في ميدان العلوم التجريبية والبحثية، وعملوا على إحياء الدراسات الطبية والصيدلة بالمغرب، وبالأخص في مدينتي فاس ومراكش، وقد قرب الملوك السعديون الأطباء الأندلسيين، واتخذوا من بينهم طبيب القصر الخاص، وأغدقوا عليهم من الصلات والمكافآت ما شجعهم على النشاط في علاج المرضى وصنع الأدوية[13].

أما في مجال الزراعة، فقد شهدت هي الأخرى انتعاشا كبيرا، فقد استغل الأندلسيون إمكانيات المغرب الزراعية وعملوا على تطويره، بحيث حرصوا على زراعة الأراضي واستصلاحها، وعدم تركها بورًا[14]. ومن أجل ذلك عمل السلطان أحمد المنصور على إقطاعهم أراضي فسيحة في فحص مدينة مراكش. في هذا السياق نقل لنا القشتالي وزير أحمد المنصور ما قام به هذا الأخير مع الأندلسيين قائلا ما يلي: "... **وأقطعتهم الدولة أراضي فسيحة بالجانب الغربي من فحصها...**"[15]. فقام الأندلسيون بغراستها بمختلف أنواع الأشجار المثمرة كأشجار الزيتون[16]. وبذلك أسهموا في تطوير إنتاج الفلاحة المغربية وهو ما يؤكده القشتالي بقوله: "...**فاغترسوا بها جنات معروشات وغير معروشات...**"[17]. كما حرص الأندلسيون على تحسين إنتاج الخضر والفواكه، وأسهموا في تطوير بعض أساليب وتقنيات الري، إذ عملوا على تطوير العديد من النواعير انطلاقا من نهر تانسيفت[18] كنواعير فاس، ولم يكتف الأندلسيون بالجانب العملي، بل اهتموا حتى بالجانب النظري، من خلال تأليف العديد من المصنفات التي تعنى بعلم الفلاحة[19].

أما في مجال الصناعة؛ فقد اشتهروا بالأخص بصناعة الحدادة والنجارة والخرازة والحياكة وتربية دودة القز[20]، كما برعوا في صناعة الحرير والصوف لدرجة أن تجار الأقمشة الصوفية بفاس كانوا كلهم أندلسيين، كما برعوا في صناعة الشاشية، هذا بالإضافة إلى أنهم حملوا معهم العديد من فنون وطوروها بالمغرب كدباغة

الجلود، وصناعة صندوق العروس[21]. وغيرها من الحرف وقد وجدوا في بيئة المغرب الأقصى الملائم لتطويرها وتصريفها[22]. وهو ما أكده ابن القاضي في مصنفه بقوله: "... **وقد ظهر بدولته [أي المنصور السعدي] من العلم والحرف المهمة التي لم تكن قبل في المغرب أصلا**"[23]. ولم يتوقف الأندلسيون عند ذلك، بل حملوا معهم تنظيماتهم إلى المغرب، فقد كانوا منتظمين في طوائف حرفية عرفت باسم نقابات. في وقت تؤكد المراجع أيضا اشتهارهم ومهارتهم في البيع والشراء[24].

أما في المجال العسكري؛ فقد أدرك السعديون من خلال معاركهم التي خاضوها ضد الاحتلال الأيبيري ضرورة امتلاكهم لأسلحة قوية تكون قادرة على أن تحقق لهم تفوقا عسكريا على القوات الغازية، وطردها من الثغور المغربية[25]. فقد أكد الباحث محمد المهناوي أن السلاح الناري كان أساسيا في قيام الدولة السعدية بقوله: "إذا كانت الدولة بالمغرب الوسيط لا تقوم إلا بالعصبية والمال فإن قيام الدولة بالمغرب خلال القرن السادس عشر لم يكن ممكنا إلا بتوفير المال والسلاح الناري"[26].

لهذا الغرض أنشأوا عدة مصانع في مراكش وفاس وتارودانت، وهو ما أشار إليه مارمول كربخال في كتابه (إفريقيا) بقوله: "**وفي مراكش عاصمة السعديين، يوجد أمام السجن قصر كبير يدعى قصر النصر يصهر فيه السلاح المدفعية، وتصنع فيه الأسلحة والذخيرة الحربية**"[27]. وقد استغل السعديون في إدارة هذه المصانع، وإنتاج مختلف الأسلحة على العناصر الوافدة وفي مقدمتهم الأندلسيين الذين كانوا يشرفون على صناعة الأسلحة والذخيرة بمدينة فاس، ومنهم على سبيل المثال مصمم الأسلحة الثقيلة المشهور في ذلك الوقت المسلم الأندلسي أحمد الحجرى المعروف باسم أفوكاى، كان قد فر من الأندلس إثر الاضطهاد واستطاع أن يدفع بالإنتاج الحربي في مصانع مراكش للسلاح وأبدى كثيرا من الاهتمام والاختراع والتصميم في هذه المصانع بعد أن تم وضع الإمكانات اللازمة له وقام بصنع العديد من مدافع الميدان المتوسطة والكبيرة[28]، بالإضافة إلا أن الأندلسيون اعتمدوا إلى جانبهم على العثمانيين والعلوج وقد أنتجوا أولى مدافع لهم من نحاس منجم تتريرة الذي تم اكتشافه في (946هـ/1539م) [29].

وفي هذا الشأن سعى أحمد المنصور الذهبي إلى الاهتمام بتشكيل جيش قوي يكون قادراً على تحقيق الانتصارات على خصومه، ومن جهة أخرى يكون محدثا على الطراز العالمي آنذاك، ومن أجل تأسيس جيش نظامي اعتمد على العنصر الأندلسي، وعناصر أخرى، فكانت هذه القوات تضم في صفوفها أعداد كبيرة من الأندلسيين[30]. كما يعد المنصور أول من قسم الجيش إلى فرق، وجعل لكل فرقة قائدا، وخصص لها لباسا يمتاز بألوانه وأشكاله عن لباس الفرق الأخرى، ومن بين الفرق التي قسمها المنصور فرق الجيش الأندلسي، الذي كان قائده هو جودار الباشا[31] الأندلسي الذي قام بغزو السودان الغربي[32].

أما في مجال البناء والعمران فقد عرف هو الأخر تطورا بفضل إسهامات العنصر الأندلسي، وذلك من خلال تطوير طراز البناء على الطريقة الأندلسية. فقد ادخل الأندلسيون العديد من الأساليب والتقنيات الجديدة

كالفسيفساء والنقش على الحجر والجبس والخشب والفستقيات المائية، بالإضافة إلى الثريات الموجودة ببعض مساجد مدينة فاس المأخوذة من نواقيس الكنائس الاسبانية التي حملها الأندلسيون معهم[34]. أما في عهد المنصور فبعد توليه الحكم أقدم على تشييد القصر البديع الذي يعد أحد أعظم تحفة فنية، التي احتفظت الكتب التاريخية والرحلات بوصفه[35]، فقد استغل المنصور خبرة الأندلسيين والعناصر أخرى في بناءه، وأشرك عدد كبير من المهندسين والحرفين منهم[36].

على العموم فإن طراز البناء الأندلسي لم يعد مقتصرا على مدن الشمال، وإنما انتشر وتخطى جبال الأطلس، حتى الدول المتوسطة بعد أن أصبح الأندلسيون يعيشون بين أظهر سكان المدن، وبسبب تزايد النزوح بأعداد كبيرة بعد قرار الطرد من الملك الاسباني فيليب الثالث في22 جمادى الثانية 1018هـ الموافق 22 سبتمبر 1609م نهائيا من شبه الجزيرة الإيبيرية[37].

2.اليهود

من بين العناصر الأخرى التي توافدت على المغرب السعدي العنصر اليهودي، والذي يعود قدم تواجده في المغرب إلى القرن الثالث قبل الميلادي على عهد الفينيقيين، وازداد توافده على المنطقة بعد تحطيم القيصر تيتوس معبد بيت المقدس سنة سبعين للميلاد، أين اختلط مع السكان وحاول نشر تعاليم الديانة اليهودية، ثم ظلوا متواجدون في المنطقة بعد الفتح الإسلامي باعتبارهم من أهل الذمة[38].

ولكن بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، ازدادت هجرة اليهود فرارا من محاكم التفتيش التي اضطهدتهم إلى جانب المسلمين والتي اعتبرتهم مارقين عن الدين الكاثوليكي، فعملت على متابعتهم بنوع من التضييق والتعذيب ولاسيما حرق الآلاف منهم، نتيجة أعمال الاضطهاد والتعسف التي مورست عليهم من قبل ملوك الكاثوليك في اسبانيا والبرتغال[39]. اتجهت موجات كبيرة ما بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي مع الأندلسيين إلى الضفة الجنوبية من حوض البحر الأبيض المتوسط إلى المغرب العربي وفي مقدمتهم المغرب الأقصى بحكم القرب الجغرافي ما بين منطقتين[40].

استقر اليهود في العهد السعدي في أقصى الشمال إلى تخوم الصحراء، واستوطنوا بالخصوص المراكز التجارية التي تمر منها أو تنتهي إليها قوافل الذهب الرابطة بين شمال إفريقيا والسودان[41]، وبعد استقرارهم في المغرب تمتعوا بحريات كبيرة، خاصة في الفترة السعدية بحيث سمحت لهم الدولة بأن يمارسوا شعائرهم وطقوسهم الدينية في أمان داخل البلاد. وقد حملت إليهم مرة باخرة انجليزية في جملة ما حملت من بضائع 26 صندوق مملوء بكتب التوراة[42]. كما كانت لهم مقابر خاصة بهم[43]. وعرف عن أحمد المنصور أنه كان يفدي أسرى المسلمين واليهود من رعاياه بالمال أو بالمبادلة بالمسيحيين أسرى وادي المخازن، لكن العلماء كانوا ينتقدونه في سماحة ببلاطه[44]، ولأجل حماية اليهود الذميين فقد سعت الدولة السعدية إلى بناء أحياء لهم خاصة حصينة للإقامة بها لا تبعد كثيرا عن مقر الحاكم[45].

ومقابل هذا ظهرت إسهامات العنصر اليهودي في المجتمع السعدي، وبدى تأثيرهم الكبير في الجانب الاقتصادي مقارنة بباقي الجوانب، إذا كانوا يمتهنون بصفة عامة مهنة التجارة وبعض المهن التي كادت تكون مقصورة عليهم وحدهم. مثل مهنة السروجية، أي صناعة البردعة، والصياغة ولحم القصدير وكانوا يعملون كذلك باعة متجولين واسكافيين متنقلين[46]. ومن المهن التي كانوا يشتغلونها صياغة الحلي وضرب النقود[47]. إضافة إلى ذلك كانوا يستقبلون حمولات الذهب الواردة من السودان، فيقوم يهود المدينة بتصفية الذهب ووزنه والتأشير عليه وإرساله إلى بني سمكين بواحة لكتاوة، ومن هناك يوجه إلى مدينة مراكش[48].

نتيجة لنشاطهم التجاري هذا اعتمدت عليهم الدولة منذ بداية ظهورها كوسطاء في الصفقات التجارية الكبرى، ومكنتهم خبرتهم من إدارة معامل السكر التي كانت تُدار في الغالب من قبل اليهود، ففي عهد محمد الشيخ[49] استفاد من خبرتهم حيث استدعى أحد اليهود الذين اعتنقوا الإسلام إلى القيام بتشييد أرحية جديدة لطحن قصب السكر، على ضفاف وادي سوس، وكان ذلك سنة 1536م[50]. وكل هذا النشاط التجاري والداخلي كان عمليا بيد اليهود الذين يتولون مقاليد الاقتصاد بالبلاد ويحتكرون تجارة السكر والتبغ والبارود، كما كانوا يقومون بشؤون أملاك الأمراء وكبار القوم وهذه الوضعية بمجموعها فتحت أمام اليهود مجالات واسعة للاتصال بالطبقة الحاكمة وبالأجانب على مختلف المستويات والأجناس وساعدتهم على إقامة ثروات ضخمة والتي استغلوها في نواحي عديدة من النشاط الاقتصادي خاصة في خلق منافسة مع التجار الانكليز الذين أسسوا الشركة البربرية سنة 1585م، والتي سرعان ما فشلت تجارتهم وأعلنت إفلاسها سنة 1598م بسبب مضاربة اليهود لهم[51]. ناهيك عن مجالات أخرى كالطب، ففي فترة حكم عبد الملك المعتصم (1576-1578م) على المغرب كان يرافقه طبيب يهودي خاص به والذي أشرف على معالجته أثناء وعكته الصحية، كما عمل على التستر على موت السلطان خلال معركة وادي المخازن 1578م[52].

أما في المجال السياسي فقد كان لهم النصيب الأوفر في ذلك ففي عهد أحمد المنصور الذهبي، أشركهم في مختلف شؤون الدولة حيث اتخذهم سفراء ومماثلين له في أوربا على أساس ثقافتهم ومعرفتهم الواسعة باللغات الأجنبية. ولم يكتفي المنصور بذلك، بل اتخذ لنفسه مستشارا خاصا من يهودي يعتمد عليه في الكثير من القضايا الدولية، فأصبحوا يقومون بدور الوساطة في أعمال الدبلوماسية ما بين المغاربة والأجانب مثل عمليات افتكاك الأسرى، وهو ما مكن بعضهم من أن يصل إلى أعلى المناصب في الدولة كالوزارة وغيرها[53].

ونظرا للأهمية التي جناها المنصور من اليهود فقد وصل به الأمر إلى أن يفتدي من الأسرى اليهود بمال من جزيرة مالطا ودفع عنها المال، حيث يذكر في الشأن ابن القاضي أن المنصور اخرج يهوديا من الأسر من جزيرة مالطا بمال، ولم يقتصر الأمر على عامة اليهود بل حتى العلماء الذين لهم أصل يهودي[54].

أما من الناحية الاجتماعية فقد اندمجت الجالية اليهودية مع المجتمع السعدي اندماجا كبيرا، بل صارت لهم الحظوة ويتمتعون بحرية خاصة، لما وفر لهم الشرع الإسلامي من حماية، فقد كان القضاة المسلمون

يأخذون لهم الحق وينصفونهم، انطلاقا من الوازع الديني الذي لا يفرق في التقاضي بين مسلم وغير المسلم[55]. ولكن على النقيض من ذلك فإن تأثيرهم في الجانب الاجتماعي كان أقل شأنا من باقي المجالات الأخرى، إذ كانوا يشرفون على خدمة دار قصر السلطان، حتى أنه كان يسمح لهم بالدخول إلى مقاصير النساء[56]. ورغم ذلك فإنهم ادخلوا بعض العادات السيئة على المجتمع السعدي مثل: إشراف أو امتهان مهنة البغاء حيث اشتغلوا داخل دور القواد والعمال، كما عرفوا بمهنة السحر مثل الساحر ابراهم الذي لم يسلم الناس من شره إلى غاية أن قتله القائد يحيى سنة 1001هـ/1593م، وأمر بشنقه[57].

ومن العادات السيئة التي أدخلوها أيضا عادة شرب الخمر، التي كانت رائجة في الحانات اليهودية، مما جعل السلطة تلجأ إلى تقنين تجارة المشروبات الكحولية، وتمنع اليهود من بيعها لجيرانهم المسلمين والمسيحيين، كما تمنع تقديمها لهم عند دعوتهم لتناول الطعام[58].

3.الأوروبيون

بعد انتصار السعديين في معركة المخازن 1578م، حظي المغرب الأقصى بمكانة مرموقة في العالم إذ أصبحت الدول من جراء ذلك تتنافس لكسب صداقته، وعقدت اتفاقيات تجارية وسياسية معه، وأدرجت في صلب السياسية الدولية آنذاك، وظهر السلطان أحمد المنصور كحاكم قوي يمكن الاعتماد عليه والتحالف معه[59]. لاسيما وأن الأخير عمل على الحفاظ على التوازن ما بين الشرق والغرب من جهة، وبين دول الغرب الكاثوليكية والبروتستانتية من جهة أخرى، ففتح بذلك أبوابه لكل الأجانب الأوروبيين من مختلف أعراقهم وجنسياتهم، فتعدد بذلك الوافدون الأوروبيون على المغرب ما بين سفراء وبعثات دبلوماسية أو متفاوضين أو بصفتهم تجار نظامين أو مهربين متعاقدين مع الدولة للعمل بالمصانع والمعامل. فقد توافد على المغرب عدد من الصناع الايطاليين والإيبيريين الذين حملوا معهم العديد من التقنيات في مجال الصناعة، فكانوا يعملون في المعاصر أو يقومون بتسييرها والإشراف عليها، كما لعبوا دورا أساسيا في صناعة الأسلحة وتجهيز السفن[60]. إذ يذكر الوزان في هذا الشأن في كتابه (وصف افريقيا) أن أحد الغرناطيين الأثرياء أقام حوالي 18 سنة بالمدينة هسكورة المغربية وكان يشتغل في صنع القذافات[61].

وقد حقق التجار الأوروبيون عدداً طائلا من الأرباح، بحكم تعاملهم اليومي مع المغاربة فإن هؤلاء التجار قد تعرفوا على عادات وتقاليد المغاربة الكثيرة والمختلفة، وبدورهم تعرف المغاربة على عادات وتقاليد الأوروبيين وإن كانت على نطاق خاص وتعلموا منهم اللغات الأجنبية[62].

وكان تواجد العديد من هؤلاء الأوروبيين في المغرب كأسرى خاصة بعد انتصار السعديون الذي حققوه في معركة وادي المخازن، فقد أسر السعديون العديد من الأسرى الأوروبيين الذين جاءوا مع الحملة البرتغالية، وقد أدت هذه الفئة دورا مهما في المجتمع السعدي، حيث استخدمهم المنصور الذهبي في الأعمال الزراعية

والتجارية، وفي القضاء على الحروب القبلية[63]. أما في المجال العسكري فاستفاد المنصور من خبرتهم في صناعة مختلف أنواع الأسلحة، والذخيرة الحربية، كما استخدموا في تشييد وبناء الحصون العسكرية[64].

وامتهنوا أيضا العديد من المهن كصناعة الزليج الملون على مختلف الأصناف تحت إشراف معلمون انجليز وفلامنك وفرنسيس، واحترفوا مهنة نشر الخشب طوال أيام الأسبوع ماعدا يوم الجمعة، وكذا أيام الأعياد التي يحتفل بها المسيحيون خلال أيام من السنة الميلادية[65].

كما اعتمد عليهم في خدمة القصر، حيث كانوا يعملون بالسراديب أسفل القصر عدد من الأشغال في المخازن والمطابخ والمغاسل. أما فيما يتعلق بعامة الناس فلقد ارتفع معدل امتلاكهم للأسرى إلى أسير لكل شخص تقريبا، مما ينعكس سلبا على سوق الشغل بمدينة فاس، خاصة التي امتلأت مدينتها القديمة بالأسرى، إلى حد أن أصحاب الحرف والفلاحين أصبحوا يملكون ما لا يقل عن اثنين أو ثلاثة من الأسرى، ويستعملونهم كعمال في مصانعهم أو في حقولهم[66].

إلى جانب هؤلاء الأوروبيين من الأسرى تواجد بالمغرب العديد من الرحلة والمغمورين والجواسيس، ورجال الدين المسيحيين الذين كانوا يشرفون على افتكاك الأسرى وتبادل المسجونين، إذ بفضل هؤلاء الأجانب الذين زاروا المغرب، وبالرغم من اختلاف أسباب دوافع تواجدهم في المغرب إلا أننا تمكنا من خلال ما كتبوه التعرف على الكثير من مظاهر الحياة التي شهدتها المغرب آنذاك[67].

4. السودانيون

إن الحديث عن العنصر السوداني في المجتمع السعدي خلال فترة أحمد المنصور الذهبي يجرنا إلى الحديث عن الروابط التاريخية التي ربطت بين المغرب والسودان الغربي على مر التاريخ، ففي حقيقة الأمر أن العلاقات التي ربطت بين المغرب والسودان الغربي، هي علاقة قديمة قدم الحضارات الإنسانية، إذ حسب ما أكده الرحالة العرب الذي أرخ لها كالبكري والإدريسي وابن حوقل أنه كانت تتوفر العديد من عوامل الاتصال الحضاري، كعامل الامتداد الجغرافي؛ وهو الترابط الطبيعي الذي أثر على مستقبل العلاقات بين سكان البلدين، حتى أنه وجدت أدوات حجرية من عصر الباليوليتيك، كان يستخدمها السودانيون في صناعتهم، وهي نفسها الموجودة في شمال إفريقيا[68]. وقد ازدادت تلك العلاقات قوة وتماسكا بعد انتشار الإسلام؛ فقد بدأت العلاقات بين المغرب والسودان الغربي بشكل واضح خلال القرن الثاني عشر ميلادي، وخاصة عندما بدأ الإسلام ينتشر في صفوف الأفارقة. لكن التحول الحقيقي لإطار تلك العلاقات لم يتم إلا في القرن السادس عشر ميلادي[69].

والجدير بالذكر أنه خلال فترة حكم السعديين تغيرت العلاقة بين الطرفين، فقد تميز المشهد السياسي بين سلاطين السعديين وملوك السودان الغربي بالتوتر والفتور في كثير من الأحيان، إذ اعتمدت على المنفعة، وتحقيق مصالح استغلالية مغربية في السودان الغربي، فمنذ ظهور السعديين عام (916هـ/1510م) وقيام دولتهم بالمغرب سعوا إلى البحث عن موارد ثابتة تمكنهم من توطيد أقدامهم، وتساعدهم على تطوير الاقتصاد

المغربي، لما فيها من رفاهية للبلاد وازدهارها، حيث سعوا إلى استغلال ثروات جنوب الصحراء كمعادن الملح الموجودة بإقليم تغاز الذي تمتاز به عن سائر بلاد السودان، وكذا سعيا منهم إلى فك الضائقة المالية التي كانوا يعانون منها نتيجة حروبهم المتواصلة مع أعدائهم. وبذلك فقد توجه السعديون بأنظارهم إلى ثروات السودان الغربي من الذهب والرقيق[70].

وبالفعل فقد أرسل السلطان الأعرج[71] ثاني السلاطين السعديين إلى الاسكيا إسحاق الأول[72]في عام (933هـ/1526م)، بشأن التنازل عن نفس المعدن، غير أن العلاقات السعدية مع مملكة سنغاي سوف تعرف تأزما كبيرا في عهد المنصور بسبب الرغبة في السيطرة على ثروات السودان الغربي، والذي انتهى الأمر بغزو المنصور الذهبي للسودان الغربي والقضاء على دولة سنغاي[73].

على العموم فقد قام أحمد المنصور بالتوسع نحو السودان الغربي نتيجة الإضرابات التي كان يشهدها آنذاك، ونظرا لازدياد الخطر العثماني من جهة الشرق، فقد عمل على تحقيق رغبته نحو الجنوب بغزو السودان الغربي، وهو ما يهمنا في هذا المقام. فمن بين آثار ذلك التوسع خلال تلك حملة العمل على استقدام العديد من السودانيون كعبيد[74]. وفي هذا الصدد يذكر الأفراني: "**بعد أن استولى جودر باشا على تنبكت وسائر ما يواليها من المدائن والقرى، بعث جودر للمنصور يخبره بالفتح وبهدية عظيمة، فيه عشرة ألاف مثقال ذهبا، ومائتين من الرقيق وغير ذلك...**"[75].

أما في الحملة الثانية على يد محمود باشا بن زرقون[76] فقد تم أيضا إرسال العديد من العبيد والغلمان حيث قال: "... **ولما استوثق له الأمر هنالك، بعث نصف جيشه مع هدية للمنصور فيها من الذخائر ما لا يحصى، وهي اثني عشر مائة مملوك من الجواري والغلمان...**"[77].

وبذلك فقد تواجد بالمغرب الأقصى العديد من العبيد السودان، والذين كانت لهم أدوار في المجتمع السعدي، فمن بين إسهاماتهم في الجانب الاقتصادي استغلال مجموعة كبيرة منهم كيد عاملة في الضيعات السلطانية المخصصة لقصب السكر من خلال القيام بالعمليات الزراعية، وصيانة شبكات السقي، وغيرها من الأعمال، بل أن العديد من المؤرخين اعتبروا أن التزويد بالعبيد للاستخدام في مزارع قصب السكر ومعامله شكل إحدى الدوافع الرئيسية لغزو السودان[78]. إذ لم يكن للسعديين سواء سكر السوس للتعامل مع الأوروبيين، لكن أثناء صعود المنصور إلى السلطة لم تكن معاصر السكر مستثمرة، نتيجة ضعف المزارع والتجهيزات المائية، إذ أصيبت أثناء الصراع الذي انتهى باعتلاء عبد الملك[79] للسلطة، وقد حاول المنصور تقويم هذا الوضع، فعمد إلى الزيادة في المزارع والتجهيزات المائية والصناعية. أما بالنسبة لليد العاملة ففضل أن تكون من العبيد الذين استغلوا كثيرا في مصانع السكر، علاوة على استغلالهم كبضاعة عند تجار الرقيق[80].

أما في الجانب العسكري فلا شك أنه كان له حضور قوي في تاريخ المغرب باعتبار شكل الآلة الفعالة لبناء الدولة واستمرارها وسيادتها، ونظرا لأهمية الجانب العسكري فقد أولاه المنصور عناية خاصة منذ بداية عهده، فشهد بذلك تطورا هاما شمل بنيته وتسليحه ومهامه. ولعل أن المنصور الذهبي كان من بين السلاطين

السعديين الذين اهتموا بتشكيل جيش نظامي معتمدا فيه على عدد من العبيد السود الذين تم إرسالهم إليه من تومبكتو[81].

إذ يذكر الباحث محمد رزوق نقل عن الزياني أنه عند وصول الرقيق إلى مراكش من السودان قال: "...**فدفع المنصور نصف العبيد لرؤساء البحر يركبون فيه، ويخدمون معهم ليتدربوا على سفره، والنصف الآخر أعطاهم السلاح والخيل من جملة الجند وزجهم بالجواري كل واحد أعطاه واحدة، فأولئك العبيد هم أصل العبيد الذين جمعهم السلطان إسماعيل...**"[82].

لم يقتصر دور تجارة الرقيق على تزويد المؤسسة العسكرية بالعنصر البشري الضروري للخدمة العسكرية ولو بأعداد قليلة جدا، بل تعدى الأمر ذلك إلى مجالات أخرى يمكن أن نميزها بين الاستخدام العائلي لهذه الشريحة الاجتماعية، وبين الطلب الرسمي عليها؛ أي استخدامها في القصور السلطانية، فبخصوص استغلال الرقيق في الخدمات المنزلية يمكن القول بأنه تم على يد الفئات الاجتماعية الثرية والحرفيين[83].

كما شكلت الإيماء عنصرا مهما في القصر السلطاني، إذ أن عبيد الحرم الذين خصصوا للاستخدام الحريمي لاسيما من الإماء والخصيان[84] لعبوا دورا بالغ الأهمية في خدمة البلاط، ففيما يخص الإيماء ضم القصر السلطاني حريما تكون من عدد من الجواري المحظيات وجدت بينهن سودانيات، وقد عرف عن المنصور السعدي اهتمامه بهذا النوع الخاص من نساء السودان بغرض التسري،[85] إلى جانب الزوجات الشرعيات اتخذ الملوك السعديون عددا غير محدد من الإماء البيض والسود[86]، سواء ممن يتم شراؤهن أو أسرهن بأعداد كبيرة، خاصة في السودان التي جلب منها الألاف من الجواري على دفعات في عهد المنصور إذ ضمت إحداها اثني عشر مملوكا بين الجواري والغلمان، وأخرى عشرة آلاف جارية كلهن في سن البلوغ، كما حث المنصور قائده هناك على أن يجلب له من إناث الأسرة الحاكمة في السودان – أسرة اسكية[87] – ما يليق بمقامه[88].

ففي سنة 1599م عاد جودر باشا إلى مراكش حاملا معه خمسة عشر من بنات أسكية ليتخذهن السلطان في عداد المحظيات، ووجدت محظيات كذلك داخل البلاط أو إماء أوربيات. كما تكون حريمه من مائة وستين امرأة، عدا الإماء اللواتي كن في خدمة الأميرات[89]. أما فيما يتعلق بالخصيان، فحسب ما تذكره المصادر فإن حضور الذكور من العبيد انحصر في هذه الفئة التي كان بإمكانها وحدها التردد على الحريم والجناح المخصص للعائلة السلطانية من أجل حراسة نساء السلطان[90].

وعلى النقيض من ذلك فقد أدخل السودانيون عادة غريبة عن المجتمع السعدي تتمثل في ظاهرة شرب الدخان والتي ارتبط ظهورها بانتشار النفوذ المغربي فيما وراء الصحراء من بلاد السودان، حيث حمله إليه السودانيون الذين رافقوا الفيلة المبعوث بها إلى مراكش ما بين سنتي (1597-1598م)، إلى فاس سنة 1599م[91]. فحسب الإفراني: "...**أنه في عام واحد 1592م، أتي بالفيلة من بلاد السودان للمنصور وكان يوم دخولها لمراكش يوما مشهودا [...] وبسبب دخول هذه الفيلة للمغرب، ظهرت هذه العشبة الخبيثة**

المسماة تبغة[92]، لأن السودان الذين قدموا يسوقون الفيلة، قدموا بها يشربونها، ويزعمون أن فيها منافع فشاعت عنهم في درعة ومراكش وغيرها من بقاع المغرب..."[93].

ولم يمضي إلى بضع سنوات من ظهور مادة التبغ بالمغرب حتى انتشر انتشارا واسعا، ولقيت قبولا كبيرا، مما أثار ضجة وسط الفقهاء حول مسألة التبغ إلى أن وصلت إلى مسمع السلطان أحمد المنصور فأمر باستفتاء العلماء حول المسألة في أواسط أكتوبر 1602م، فأفتى مفتي فاس "**محمد بن قاسم القصار**"، والفقيه "**أحمد بن حسون**" بتحريمه، وأقرا بوجوب إتلافه، وعملا بذلك أمر المنصور بانتزاعه من الباعة وحرقه[94].

خاتمة

ختامًا لهذه الدراسة يمكن أن نستنتج ما يلي:

إن المتتبع لتطور الأحداث التاريخية للدولة السعدية يلاحظ أن الدولة قد بلغت أوج قوتها ومجدها على جميع الأصعدة خلال عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي (1578-1603م) وهذا ما جعله متميّزا عن باقي سلاطين الدولة السعدية، بحيث شهدت البلاد نشاطا اقتصاديا واسعا، ولكن هذا التطور الذي شهدته البلاد لم يأتي من فراغ وإنما كان نتيجة للسياسية التي انتهجها أحمد المنصور من خلال توفر الأمن والاستقرار النسبيين للبلاد، بالإضافة إلى دوره في إخماد الثورات والتمردات الداخلية، علاوة على الإصلاحات والتحديثات العميقة على المستوى الداخلي، ناهيك عن ربطه لعلاقات جديدة مع الدول العظمى آنذاك، وهو ما ساهم في توافد عناصر جديدة على البلاد مما أدى إلى إحداث تغيرا عميقا في مقومات البلاد الاقتصادية، بحيث بدأت الدولة تنتعش اقتصاديا وزراعيا وصناعيا وتجاريا بفضل تضافر وإساهم العناصر الوافدة إلى المغرب، وفي مقدمتهم الأندلسيين واليهود المطرودين من ديارهم والذين توجهوا إلى بلاد المغرب واتخذوه موطنا جديدا لهم فرارا من محاكم التفتيش والاضطهاد، وقد حملوا معهم خبرتهم الواسعة في ميادين الزراعة والتجارة والصناعة وساهموا في تحديث وتطوير البلاد.

كما استفاد المنصور من التجربة العثمانية خاصة أثناء مكوثه بالدولة العثمانية كلاجئ سياسي، وقد عمل على نقل التجربة التي عاشها في الدولة العثمانية إلى المغرب، وبذلك يمكن القول أن المنصور كان يحمل في فكره روح تجديد وتغيير وهذا بفعل ما جسده في دولته، ويمكن القول أن التجربة العثمانية كانت ناجحة على الدولة السعدية في العديد من الميادين خاصة ما ادخله المنصور من إصلاحات في الجانب الإداري والعسكري، كما استفاد المنصور من خبرة العثمانيين وكذا الأوروبيين في الإشراف وإدارة المصانع العسكرية بالإضافة إلى دور فئة الأسرى التي لعبت أدوارا مهمة في المجتمع السعدي.

شكل عبيد السودان شريحة مهمة في المجتمع المغربي ولعبوا دورا بارزا وهاما بحيث قدموا خدمات إسهامات جليلة لفائدة المخزن المغربي. لكن رغم كل هذه الأدوار التي اضطلع بها العبيد من تأثير في الجانب العسكري وانتعاش الاقتصاد، إلا أنها لم تشكل فئة كبيرة داخل المجتمع المغربي، كون أن الأعداد المجلوبة من

السودان كانت محدودة – هذا ما أكدته أغلب المصادر. وعلى العكس من ذلك فإن فترة حكم السلطان مولي إسماعيل والتي ستتشكل قوة أدمية كبيرة في المجتمع المغربي.

لم تكن جميع ما نقلته العناصر الوافدة إلى المجتمع السعدي ايجابيا في عمومها، بل كان منها المحمود ومنها المنبوذ والتي أضرت بالمجتمع السعدي، وأتحدث هنا في المقام الأولى عن بعض العوائد الغريبة التي انتشرت وسط المجتمع، مثل انتشار المعاملات الربوية والاحتكار وظاهرة شرب الخمر داخل الحانات وكذا ظاهرة البغاء بالإضافة إلى انتشار ظاهرة شرب الدخان والتي تفاعل معها المجتمع السعدي، وقد لقيت معارضة من قبل الفقهاء ما بين مؤيد أو محرم أو وسط بين ذاك وذاك، وهذا ما استدعى من الدولة السعدية على محاربة هذه الظواهر إما بالحد من انتشارها أو منعها.

أخيرا يبقى موضوع البحث المتعلق بتأثير العناصر الوافدة على المجتمع السعدي بصفة عامة وفترة حكم المنصور الذهبي بصفة خاصة مجالا للبحث والدراسة لإبراز هذا التأثير أكثر.

الهوامش:

1 – **الحكم الربضي:** (154-206هـ/771-822م) الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، الأموي، أبو العاصي، أشهر خلفاء الدولة الأموية الأندلسية، لقب بالربضي لإيقاعه بأهل الربض، حيث وصل إلى علمه أنهم يدبرون مكيدة للإيقاع به، فقتلهم وهدم ديارهم. ينظر: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون، **الموسوعة العربية العالمية**، ج.9، المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ/1999م، ص ص483-484.

2 – من أشهر الثورات التي قمعها الحكم بن هشام سنة (202هـ/808م)، حيث كان قوم من الأندلسيين يعيشون في إحدى ضواحي قرطبة، وقد ثار أهلها ثورة كبيرة جدا عليه، بسبب ما عرف عنه من معاقرة الخمر، وتشاغله باللهو والصيد، وقد زاد من نقمة الشعب عليه قتله لجماعة من أعيان قرطبة، فكرهه الناس، وصاروا يتعرضون له ولجنده مما حثه على تحصين قرطبة، فأقام حولها الأسوار، وحفر الخنادق، وجعل جنوده على مقربة منه، فزاد ذلك من حقد أهل قرطبة عليه، وزاد توجسهم منه، ثم حدث أن مملوكا له اختلف مع أحد العوام فقتله، فثار أهل الربض، وزحفوا إلى قصره وأحاطوا به فقاتلهم قتالا شديدا هو وجنده حتى تغلب عليهم، ولم يكتف الحكم بهزيمتهم، بل أحرق وخرب ديارهم، وقتل ثلاثمائة من وجهائهم وصلبهم، وأمر بطردهم خارج البلاد. ينظر: ايناس حسني البهجي، **تاريخ الأندلس**، عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2016م، ص 157.

3 – شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات (الجزائر – المغرب الأقصى – موريتانيا – السودان)**، ط.1، القاهرة: دار المعارف، 1995م، ص302.

4 – إبراهيم حركات، **السياسية والمجتمع في العصر السعدي**، الدار البيضاء: نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، 1408-1987م، ص232. ينظر أيضا: محمد رزوق، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م**، ط.3، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق،1998م، ص ص 301-325.

5 – عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية**، ط.3، المملكة المغربية: منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، 1427هـ /2006م، ص 279.

6 – محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج.1، الرباط: منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1396هـ/1976م، ص66.

7 – **الزجل**: فن من فنون الشعر العامي، نشأ وازدهر في الأندلس، ثم انتقل إلى المشرق العربي. للمزيد ينظر: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون، المرجع السابق، ج.14، ص155.

8 – **الموشحات**: لون شعري نشأ بالأندلس في أواخر القرن الثالث الهجري، اتخذ معناه من الدلالة اللغوية للوشاح والإشاح، بما في ذلك من معاني التنميق والتزيين. للمزيد ينظر: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون، المرجع نفسه، ج.14، ص154.

9 – ميكيل دي ايبالثا، **الموريسكيون في اسبانيا وفي المنفى**، تر: جمال عبد الرحمن، ط.1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005م، ص241.

10 – محمد حجي، المرجع السابق، ج.1، ص66.

11 – محمد رزوق، المرجع السابق، ص278.ص280.

12 – ميكيل دي ايبالثا، المرجع السابق، ص198.

13 – محمد رزوق، المرجع السابق، ص274.

14– عمر بن خروف، "**ملامح من الحياة الاقتصادية في المغرب في عهد السعديين**"، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد.3، السنة.1978م، ص71.

15 – عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تحقيق: عبد الكريم كريم، الرباط: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، [د.س]، ص 42.

16 – محمد رزوق، المرجع السابق، ص266.

17 – عبد العزيز الفتشالي، المصدر السابق، ص 42.

18 – **نهر تنسيفت**: نهر كبير ينبع من الأطلس قرب مدينة تدعى انماي شرق مراكش، ويجري نحو الشمال مخترقا سهولا حتى يصب في المحيط بإقليم آسفي من ناحية دكالة. للمزيد ينظر: حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج.2، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، ط.2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983، ص245.

19 – محمد رزوق، المرجع السابق، ص266.

20 – عبد اللطيف الشادلي، **الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م**، ط.1، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1982م، ص150.

21–**صندوق العروس**: هو جزء من جهاز العروس التي تصطحبه معها من بيت أهلها إلى منزلها الزوجي لتضع فيه حاجاتها من ثياب وحلي إن توافرت، وبعض الأشياء الخاصة. صندوق العروس غالبا ما يزين بالصدف ويكون مصنوعا من خشب الجوز أو السنديان أو من العرعر الصلب في هيكل في الكبر، وتورثه الجدة لابنتها ومن ثم لحفيدتها وقد تمتد صلاحيته لأجيال أخرى. ينظر: نبيل جميل، **لوحات ريفية تراثية**، بيروت: دار الفارابي للنشر والتوزيع، 2014م، ص71. ينظر أيضا: محمد رزوق، المرجع السابق، ص267.

22 – محمد رزوق، المرجع السابق، ص266–267.

23 – ابن القاضي، **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، تحقيق: محمد رزوق، ج.1، الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1986م، ص 250.

24– محمد رزوق، المرجع السابق، ص267.

25 – عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي**، ج.2، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م، ص40. ينظر أيضا: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ج.6، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1414هـ/1994م، ص ص 261–262.

عثمان المنصوري، **التجارة بالمغرب في القرن السادس عشر مساهمة في تاريخ المغرب الاقتصادي**، ط.1، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1422هـ/2001م، ص36.

26– محمد المهناوي، "**دور التجارة الأوروبية في تعزيز الهياكل السياسية بالمغرب القرن السادس عشر من خلال نموذج السلاح الناري**"، **ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب**، ج.2، الدار البيضاء: كلية الآداب والعلوم الإنسانية –عين الشق، 1989م، ص177.

27– مارمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ج.2، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1404هـ/1984م، ص ص 51–52.

28– عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية**، المرجع السابق، ص40. وأيضا. ينظر: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ج.6، القاهرة: مكتبة مدبولي،1414هـ/1994م، ص ص 261–262.

29 – محمد رزوق، المرجع السابق، ص267.

30 – وينظر كذلك: إبراهيم حركات، **السياسة والمجتمع**، المرجع السابق، ص 288. وأيضا عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص272.

31–**جودر باشا:** قائدا عسكريا من المغرب ولد بإسبانيا التحق بالخدمة العسكرية المغربية في عهد سلطان منصور الذهبي، ساهم في غزو إمبراطورية السونغي. ينظر: محمود كعت، **تاريخ الفتاش: في ذكر الملوك وأخبار الجيوش واكابر الناس وتكملته تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان**، تقديم: حماه الله ولد السالم، بيروت: دار الكتب العلمية، 1971م، ص 194.

32 -عبد الحق المريني، **الجيش المغربي عبر التاريخ**، ط.5، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1997م، ص60.

34–محمد رزوق، المرجع السابق، ص267.

35– محمد حجي، المرجع السابق، ج.1، ص 51.

36– محمد السيد محمد أبو رحاب، "**قصر البديع السعدي بمدينة مراكش في ضوء المصادر والبقايا الأثرية**"، المجلة العلمية لكلية الآداب بسوهاج، العدد.32، السنة.2011م، ص834.

37– محمد حجي، المرجع السابق، ج.1، ص52.

38 – شوقي ضيف، المرجع السابق، ص303.

39 – محمد حجي، المرجع السابق، ج.1، ص 267. وأيضا: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 292.

40 – محمد حجي، المرجع السابق، ج.1، ص 267. وأيضا

Bernard Rosenberger, "**Les juifs au Maroc dans la première moitié du XVIèmesiècle**," Hespéris-Tamuda, vol. xxxxii, Fasc. I, 1999, p116.

41 – محمد حجي، المرجع السابق، ج.1، ص ص 267–268.

42– احمد بن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص 346–347.

43– عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 292.

44 – احمد بن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص ص 346–347.

45– عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 292.

46- عبد القادر العافية، **الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون واحوازها خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)**، المملكة المغربية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1402هـ/1982م، ص208.

47- محمد حجي، المرجع السابق، ج.1، ص268.

48- أحمد البوزيدي، **التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17 مطلع القرن 20م: دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية**، ط.1، الدار البيضاء: أفاق متوسطية، 1994م، ص85.

49- **محمد الشيخ:** ولد سنة 1488م، عرف بالشيخ أو بامغار، لقب بالمهدي، مؤسس الحقيقي للدولة السعدية في المغرب، اتخذ من مراكش عاصمة له، قضي بصفة نهائية على الحكم الوطاسي في المغرب باستلائه على مدينة فاس سنة 1554م، توفي بعد اغتيال من طرف العثمانيين سنة 1557م. ينظر ايضا: إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج.2، الدار البيضاء: نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، 1420هـ/2000م، ص ص246-250. وينظر: محمود السيد، **تاريخ إفريقيا القديم والحديث**، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2006م، ص 279.

50- إبراهيم حركات، "**تطور الأوضاع الاقتصادية على عهد السعديين**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة محمد الخامس، العدد.12، السنة.1986م، ص37.

51- إبراهيم حركات، المرجع نفسه، ص43. وينظر أيضا محمود السيد، **تاريخ دول المغرب العربي ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب-موريتانيا**، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2000م، ص242. وأيضا عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 292.

52-شوقي أبو خليل، **وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة – القصر الكبير**، ط.1، دمشق: دار الفكر، 1409هـ/1988م، ص ص 92-98.

53-عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 292. وأيضا: عبد القادر العافية، المرجع السابق، ص216.

54 -أحمد بن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص346.

55- عبد القادر العافية، المرجع السابق، ص216.

56- مرمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص 172.

57- محمد حجي، المرجع السابق، ج.1، ص271. وأيضا: عبد القادر العافية، المرجع السابق، ص216.

58- حاييم الزعفراني، **يهود الأندلس والمغرب**، ج.2، ترجمة: أحمد شحلان، الرباط: مطبعة النجاح الجديدة، 2000مص370.

59-حليمة بنكرعي، "**معركة وادي المخازن وأثرها السياسي والمالي 1578-1603م**"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية-المغرب، العدد.2، السنة.2000م، ص91. وأيضا ينظر: محمد امراني علوى، **الدولة السعدية وسياسة التوحيد في عهد احمد المنصور الذهبي**، ط.1، المغرب: مطبعة اركوبرانت الرشيدية،2017م، ص33.

60- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص280.

61- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص165.

62- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص280-281.

63- أحمد البوزيدي، المرجع السابق، ص86.

64- دييكثوديطوريس، **تاريخ الشرفاء**، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، الدار البيضاء: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،1988م، ص147. ينظر أيضا: روجي لوطورنو، **فاس قبل الحماية**، ج.1، ترجمة: محمد حجي، محمد

الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1416هـ/1992م، ص121. وكذلك: مرمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص52.

65- انطونيو دي صالدانيا، **أخبار احمد المنصور سلطان المغرب**، ترجمة وتحقيق: عثمان المنصوري وآخرون، الرباط: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 2011م، ص73.

66- عبد الهادي التازي، **قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا بواعث تشييده وظروف وعمليات ترميمه**، الرباط: مطبعة فضالة، 1977م، ص07. ينظر أيضا: حليمة بنكرعي، المرجع السابق، ص ص 103-104.

67-عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص280.

68 - الحواس غربي، **السيادة السعدية بالبلاد السودانية (1591-1660م): دراسة سياسية وعسكرية**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2008-2009م، ص 26.

69- محمد ابيهي، توكبوكتو موكادور، "**نموذج التواصل الحضاري الثقافي بين الشمال والجنوب**"، مجلة ليكسوس: في التاريخ والعلوم الإنسانية مجلة علمية الكترونية محكمة، العدد.1، السنة. 2016 م، ص20.

70-عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص147. وأيضا ينظر: قدوري عبد الرحمن، "**الغزو المغرب لبلاد السودان الغربي (غرب إفريقيا) في نهاية القرن 10هـ /16م) دراسة في الدوافع**"، مجلة التراث، العدد.12، السنة. 2014، ص 127.

71- **أحمد الأعرج** (891-965هـ/1486-1557م): أحمد بن محمد بن محمد الحسني، أبو العباس السعدي ثاني مؤسسي الدولة السعدية ببلاد السوس ومراكش. بويع بولاية العهد لأبيه القائم بأمر الله، سنة 918م، وتولى الحكم لمدة 23 سنة ثم دخل في صراع مع شقيقه محمد الشيخ انتهى بسجنه ثم قتل مع أولاده سنة 1557م، خوف أن يطالب أحدهم بالعرش. ينظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج.1، ط.15، بيروت: دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر،2002م، ص234.

72- **الاسقيا إسحاق الأول** (1539-1549م): يعتبر من أهم الملوك الذين حكموا بلاد سنغاي على أيام الاسيقيين، ادخل تغيرات على انتخاب الملك حيث أدرك خطورة تدخل الجيش في شؤون الحكم وانه اضر بالبلاد في مناسبات عديدة سابقة، كما أنه من أهم المشاكل التي يجب على الملك أن يتصدى لمعالجتها لذلك قام باستبعاد جميع الضباط والمسؤولين الكبار الذين كانوا في المسؤولية من الأيام التي سبقت مجيئه إلى الحكم، واستبدلهم بآخرين يخضعون لكل أوامره وتوجيهاته. للمزيد. ينظر: عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين (1493-1591م)**، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، [د.س] ، ص ص43-44.

73- قدوري عبد الرحمن، **الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 9 و10هـ/15و16م دراسة في الدوافع والنتائج**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان- الجزائر-، [د.س]، ص38.

74- جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1999م، ص 117.

75- محمد الصغير الإفراني، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق: عبد اللطيف الشادلي، ط.1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1419هـ/1998م، ص167.

76- **محمود بن زرقون:** اسباني الأصل مثل أخيه جودار، اسر صغيرا وربي في بلاط السعديين، التحق بسنغاي وتسلم القيادة من جودار في تمبكتو وحارب الاسقيا إسحاق وأنصاره وانتصر عليهم. ينظر: يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م، ص102.

77- محمد الصغير الإفراني، المصدر السابق، ص 171.

78- الحسين عماري، "**تجارة الرقيق ونظمية المخزن خلال العصر الحديث**"، مجلة أمل، المجلد.15، العدد. 33، السنة 2008، ص 72.

79-**عبد الملك:** هو رابع أولاد السلطان السعدي محمد الشيخ المهدي وهو أبو مروان عبد الملك ابن محمد الشيخ المهدي تمت بيعته بفاس، أرسى قواعد الدولة السعدية ويلقب الغازي كما يلقب المعتصم بالله، حكم المغرب الأقصى ما بين (1576-1578م)، توفي أثناء معركة وادي المخازن 1578م ينظر: عبد الله كنون، **موسوعة مشاهير المغرب**، ط.2، القاهرة: دار الكاتب اللباني، بيروت، 1994م، ص ص 5-6.

80- محمد رزوق: "**ملاحظات حول الوجود المغربي السودان الغربي خلال فترة احمد المنصور الذهبي (1603-1578م)**"، **ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب**، ج.2، الدار البيضاء: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1989، ص289. ينظر أيضا: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ومحمد ابيهي، "**العبيد في تاريخ المغرب المعاصر**"، مجلة ليكسوس: مجلة إلكترونية متخصصة في التاريخ والعلوم الإنسانية، العدد. 21، السنة. فبراير 2018م، ص 10.

81 - الحسين عماري، المراجع السابق، ص73. ينظر أيضا:

Morisse Delafosse, " **Les débuts des troupes noire du Maroc**", Hesperis-Tamuda , vol. iii, Fasc, 1923,P.01.

82- محمد رزوق، **دراسات في تاريخ**، المرجع السابق، ص 18.

83- الحسين عماري، المرجع السابق، ص75.

84-**الخصيان:** الخصاء عادة مارسها الشعوب قديما، وتتمثل في تجريد الذكر من فحولته من أجل التأثير في مسار حياة العبد وسلوكاته الجنسية، كانت عملية الخصي يقوم بها تجار يهود، ينظر: عيوني محمد، **دور الرقيق في الحياة السياسية والثقافية ببلاد المغرب والأندلس خلال القرنين 4 و5 الهجريين**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص حضارة إسلامية، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية، جامعة الجزائر1، 1433-1434هـ/2012-2013م، ص 52.

85- **التسري:** هو اتخاذ الأمة المملوكة للجماع من قبل سيدها وقد عرف في الأمم السابقة، إلا أن الإسلام وضع له شروط تكفل للجارية حقوقها وتصون كرامتها الإنسانية، والتسري جائز في الإسلام بالكتاب والسنة والإجماع. ينظر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، ج.11، ط.2، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1408هـ/1988م، ص 294.

86- ديبكثوديطوريس، **تاريخ الشرفاء**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار البيضاء: جمعية المغربية للتأليف والترجمة، 1988، ص 157. وأيضا ينظر: الحسين عماري، المرجع السابق، ص: 75.

87- **أسكيا:** أسس سني على يد إمبراطورية "**سنغاي**" الإسلامية وكان أول إمبراطور لها، وعند موته انتقل الحكم إلى أسرة جديدة أحد قواد "**السوننكي**" إحدى قبائل منطقة غرب إفريقيا، وهو "**أسكيا محمد الأول**" بعد إعلانه الثورة على ابن "**سني علي**" واستيلائه على السلطة. و"**أسكيا**" لقب يعني "**القاهر**"، حيث قام بتنظيم شؤون البلاد من الناحية الإدارية، واستخدم طائفة من

الموظفين الأكفاء، كما نظم الجيش وأفاد من الخبرات السابقة، واتخذت حركته مظهرا إسلاميا واضحا، وقد استمر أبناؤه في حكم البلاد إلى أن سقطت في يد المغاربة. ينظر: عبد الرحمن قدوري، **الغزو المغربي**، المرجع السابق، ص 127.

88- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص 271-272. وأيضا ينظر: مؤرخ مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، ط.1، مراكش: دار تينمل للطباعة والنشر، 1994م، ص 68.

89- الحسين عماري، المرجع السابق، 75.

90- المرجع نفسه، ص75.

91- محمد حجي، المرجع السابق ج.1، ص 246.

92-**التبغ**: نبات معروف عند قدماء الهنود والفرس بأسماء أخرى منها الطبغ، وطاب، وطابة، والطابق، وطباقو، والطابغة، والتوبغة، والدخان، استعملوه في مداواة الجراح وأغراض طبية متعددة، وعنهم أخذ العرب وذكروه في كتبهم باسم (شجرة القمر). ينظر: محمد حجي، المرجع نفسه، ص246. ينظر أيضا عبد الأحد السبتي، عبد الرحمان لخصاصي، **من الشاي إلى الأتاي العادة والتاريخ**، ط.1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1999م، ص69.

94- محمد الصغير الإفراني، المصدر السابق، ص248. ينظر: أيضا: أبو العباس احمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص126.

94-محمد حجي، **الحركة الفكرية**، ج.1، المرجع السابق، ص 247